جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

وسطية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في التعامل مع غير المسلمين وأثرها على المجتمع

(دراسة تاريخية)

بحث مدعوم من عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إعداد

أ.د / سامح إبراهيم عبد الفتاح عبد العزيز

أستاذ التاريخ والحضارة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

وسطية الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التعامل مع غير المسلمين وأثرها على المجتمع. (دراسة تاريخية)

سامح إبراهيم عبد الفتاح عبد العزيز
قسم التاريخ والحضارة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
البريد الإلكتروني : samehomar03@gmail.com

الملخص :

يهتم هذا البحث بإخراج دراسة عن وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع غير المسلمين من المشركين والمنافقين واليهود وأثر هذه الوسطية على المجتمع في المدينة المنورة، من خلال بعض النماذج المستخرجة من الوحيين الشريفين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وروايات المؤرخين المبثوثة في كتب السيرة النبوية والمغازي والتاريخ الإسلامي.

فالوسطية حق وخير وعدل، ومطلب شرعي، ومظهر حضاري رفيع، حقق التكامل والانسجام والتعاون بين أبناء المجتمع في العصر النبوي، وسادته السكينة والمودة والمحبة وشعر الناس بنعمة الإخاء الإنساني العام إلى جانب الأخوة الإسلامية بين المسلمين بعضهم بعضاً، وانطلقوا جميعاً يبحثون عن موارد الرزق، وترقي الأحوال، وتجنب المفاسد والمضار وتحرك المجتمع كله واندفع نحو الرقي والتقدم في أمن واستقرار.

ولما كان رسول الله خاتم الرسل والإسلام الحنيف خاتم الأديان والرسالات الإلهية فقد تميز بالتوسط والاعتدال والسماحة، واليسر ودفع الحرج والمشقة.

وهذا ما يدور حوله البحث في مباحثه ومحاوره، ويرد على المؤرخين الذين يحاولون أن يلصقوا كل ما فيه تطرف وانحراف سلوكي إلى الإسلام وهو منه براء.

الكلمات المفتاحية : الوسطية – الاعتدال – غير المسلمين – المجتمع المسلم – السيرة النبوية.

Moderation of the Messenger - may God bless him and grant him peace - in dealing with non-Muslims and its impact on society. (historical study)

Sameh Ibrahim Abdel-Fattah Abdel-Aziz

Department of History and Civilization at the Islamic University of Madinah

Email: samehomar03@gmail.com

Abstract :

This research is concerned with producing a study on the impact of the moderation of the Messenger - may God bless him and grant him peace- in dealing with non-Muslims in the society, based on the authentic sources of the two noble revelations and the sources of the Prophet's biography and Islamic history based on the authentic narrations.

Moderation is right, goodness, and justice, a legitimate demand, and a high-civilized manifestation, which achieved integration, harmony, and cooperation among the members of society in the Prophet's era, and tranquility, affection, and love prevailed.

Since the Messenger of God is the seal of the messengers and true Islam is the seal of the divine religions and messages, he was distinguished by moderation, fairness, forgiveness, ease, and warding off hardship and adversity.

This is what the research revolves around in its investigations and axes, and it responds to Western historians who try to attach everything that contains extremism and behavioral deviation to Islam, and it is innocent of it.

key words: Equality -Moderation - Non-Muslims – Muslim Community - Biography Of The Prophet.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأرسل لنا خير الأنام سيدنا محمد الذي اختصه الله بكل خلق محمود وطهره من كل دنس وحفظه من كل ذلك وأدبه فأحسن تأديبه وجعله على خلق عظيم وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً وبعد.....

فإن أي حياةٍ فاضلة لا بُدَّ لها من رائد، وكل مسيرةٍ ناجِحة لا بُدَّ لها من قائِد، ومَن غَيرُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رائدٌ للحياة، وقائدٌ للأحياء؟! بخلقه العظيم وهديه القويم، قال تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْي محمد» (٢).

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي الترجمة العملية لأخلاقه والتجسيد الحي لمبادئ الإسلام وتعاليمه، فهي دوْحةٌ عظيمة فيها كل الثمار اليانعة، كلٌّ يقطف منها ما يناسبه، وهي القاسم المشترك الأعظم للشخصية الإسلامية الكاملة ذات التأثير الكبير في كل شئون الحياة(٣).

وهي ضابطةٌ لمسار المُسلم في حياته كلِّها يقول سُفيانُ بن عُيينة رحمه الله: «إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هو الميزانُ الأكبر، فعليه تُعرضُ

---

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ): صحيح مسلم، ج ٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، نسخة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، رقم الحديث ٨٦٧، باب تخفيف الصلاة والخطبة. ص ٥٩٤.

(٣) د. عبد العزيز شرف: السيرة النبوية والنقل الحضاري بين الأجيال، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٢٥، المحرم ١٤٠٣هـ، ص ٣.

الأشياء، على خُلُقه وسيرته وهديِه، فإذا وافقَها فهو الحقُّ، وما خالفَها فهو الباطل»[١].

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء فسيظل قدوة باقية في كل المجالات وعبر الأزمان والأماكن أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ولما كان الإسلام الحنيف خاتم الأديان والرسالات فقد تميز بالتوسط والاعتدال والسماحة واليسر ودفع الحرج والمشقة، وهي سمة الأمة عموماً كما قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [٢].

قال الإمام الطبري في تفسيره: «كذلك خصصناكم وفضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطا... لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[٣].

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، القاهرة، مصر، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م، ص ص ٦٢٦، ٦٢٧.

ومواقف النبي . صلى الله عليه وسلم . في سيرته تؤكد على خط الاعتدال الذي هو سمة هذا الدين في مواجهة الغلو والتطرف والإفراط والتفريط والازدواج والشطط.

وإن الناظر للمجتمعات الإسلامية المعاصرة يلاحظ تصاعد خطر تيارين متناقضين بين الشباب المسلم، الأول تيار يحمل فكر التشدد ورؤية التطرف في معاملة المسلمين وغيرهم في المجتمعات المسلمة بلغت عند البعض درجة إباحة الدماء، والتيار الآخر عكس الأول تماماً ونقيضه حيث يتبنى فكر التفريط والتسيب وينساق وراء دعوات التغريب ويدعو لتغيير هوية المجتمعات ولا شك أن الوسطية هي أولى هذه الخيارات وهي حبل النجاة وسفينة الإنقاذ وسبيل الحصانة الوحيد للمجتمع المسلم في وقتنا الراهن وفي كل وقت، ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث المعنون بـ «وسطية الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التعامل مع غير المسلمين وأثرها على المجتمع. (دراسة تاريخية)» لتكون نموذجاً للمسلمين المعاصرين في التعامل مع مواطنيهم من غير المسلمين.

وبالرجوع إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يبرز منهج الإسلام الوسطي القويم الذي يحافظ على وحدة المجتمعات وتماسكها في أزهي صورها، حيث تعتبر السيرة النبوية هي التطبيق العملي للمنهج الرباني في جميع الأمور، فهي فترة مسددة بالوحي وجميع الممارسات والمعاملات قائمة على الفهم والعلم الصحيح لطبيعة الإسلام وصلته بالحياة وتعامله مع جميع البشر على اختلاف أشكالهم وعقائدهم.

لقد كان لوسطية الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة المسلمين أثرها الإيجابي على المجتمع الذي سادت فيه المحبة وتنامت المودة وتلاشى التعصب وتوفرت الثقة وانتشر الشعور بالاستقرار.

فالرسول صلى الله عليه وسلم خاطب جميع الفئات وعاش معها تحت سقف دولة واحده في وسطية تامة لم يحابي أحداً ولم يحِدْ عن العدل قيد أنملة،

فانعكست هذه الوسطية على أداء الواجبات وحفظ الحقوق، فلا تقصير في واجب، ولا إهدار لحق، كما أنه لا تظالم أو تناحر ولا صراع أو تنافس غير شريف، ولا تناقض في السلوك والممارسات الاجتماعية، ولا تعقيدات أو أمراض نفسية أو اجتماعية، فالمشكلات المجتمعية قرينة الغلو والشذوذ والتمييز بين الأفراد على غير أسس شرعية.

وقد انعكست الوسطية على المجتمع في العصر النبوي فعاش الناس حياة هادئة متوافقة بين جميع أفراد المجتمع تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم تظلها مظلة الشريعة في توازن تام بين متطلبات الدين وشؤون الدنيا مصالح الناس.

أما عن مشكلة الدراسة: فتنطلق من نقطة تأصيل أهمية الوسطية والاعتدال لسعادة المجتمعات المعاصرة ويعبر عن ذلك بمجموعة من الأسئلة منها.

١- هل للفكر الوسطي حضور في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين في المجتمع المسلم؟

٢- ما هي قواعد وأصول المنهج النبوي في معاملة غير المسلمين داخل المجتمع؟

٣- ما أثر المنهج الوسطي على المجتمع المسلم في عصر النبوة؟

٤- ما الدروس التي يتعلمها المسلم المعاصر من الوسطية النبوية في معاملة غير المسلمين.

٥- كيف نناقش ادعاءات المستشرقين في رمي الإسلام بالإرهاب بمنهج علمي هادئ ورصين.

٦- كيف نستخدم النشر الدولي في بيان الصورة الواقعية للوسطية والاعتدال النبوي في معاملة غير المسلمين فضلاً عن المخالفين.

أهداف الدراسة .

١. إبراز جوانب العظمة والتمييز في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢. التعرف على أهمية الوسطية والاعتدال في بناء المجتمع واستقراره.
٣. دراسة الشبهات التي أثيرت حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوته قديماً وحديثاً.
٤. إعداد بحث علمي موثق عن وسطية النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين وأثرها على المجتمع في المدينة المنورة بعد الهجرة.
٥. تسمين القيم والمبادئ الداعية إلى التسامح وحب الخير للآخرين ونبذ الأحقاد والغل بين المسلمين ومن ثم التعايش السلمي المبني على الاعتدال مع غيرهم في المجتمع.
٦. المساهمة في تنمية الثقافة المجتمعية وترسيخ الوعي الفكري وتحصين القارئ بالسلوك الوسطي في التعامل مع جميع أطياف المجتمع.
٧. استنباط قواعد منهج الوسطية النبوي من وقائع وأحداث السيرة النبوية والوعي بمعالجة النوازل الواقعية في ضوء هذا الهدي النبوي.

أهمية الموضوع .

ترجع أهمية هذا البحث إلى شرف المجال الذي يتعلق به، والذي يمكن توضيحه في النقاط التالية:

١- ارتباط الموضوع بالسيرة النبوية وعنايته بقيمة الوسطية والاعتدال.
٢- اهتمام الدراسة بالتطبيق النبوي للوسطية في التعامل مع غير المسلمين من خلال بعض النماذج.
٣- عناية الدراسة ببيان وأثر الوسطية على المجتمع المسلم في زمن النبوة.
٤- التركيز على اللفتات التربوية التي تتجسد من خلالها معالم الوسطية في الممارسات النبوية.

٥- مراعاة الجمع بين تقديم المعلومات وتوجيه الفكر وتحسين السلوك لتحصين المجتمعات الإسلامية المعاصرة من خلال الهدايات النبوية .

٦- التأكيد على أن وسطية المسلم مع الآخر ليست شعاراً يرفع؛ بل هي ممارسة عملية في واقع الحياة.

٧- التأكيد على أن محاربة الأفكار الداعية إلى الإخلال بالأمن المجتمعي مطلب شرعي وهدي نبوي.

٨- تأصيل وتعميق صلة الأجيال بالسيرة النبوية مع المحافظة على مستجدات العصر والارتباط بالواقع.

الدراسات السابقة.

مع أن السيرة النبوية قد أُلِّف كثيراً في أحداثها، وكذلك الوسطية في الإسلام والتعايش بين المسلمين وغيرهم كذلك غير أنني لم أقف على دراسة تحمل عنوان هذا البحث المقترح حسب علمي وبعد بحثي.

لكنني بعد إنجاز البحث وقبيل نشره وقفت على بحث بعنوان: معاملة غير المسلمين من خلال أحداث السيرة النبوية الشريفة وواجب الدعوة إلى الإسلام دراسة تحليلية، للدكتور عبد السلام العبادي، عمَّان، المملكة الأردنية الهاشمية، وهو منشور ضمن سلسة الأبحاث العلمية على بوابة السيرة النبوية، وبتصفح هذا البحث وجدت أن يتناول معاملة غير المسلمين كافة من منطلق دعوي وأما دراستي التي بين يدي القاري الكريم فهي متخصصة في الوسطية فقط في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين في المدينة المنورة وأثر هذه الوسطية على تماسك المجتمع، وهي دراسة تاريخية[1].

(1) https://www.alsirah.com.

خطة البحث:

يمكن تقسم خطة البحث على النحو التالي:-

المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره وأهدافه وخطته ومنهج العمل فيه.

تمهيد: وفيه بيان تحديد مفاهيم ومصطلحات العنوان (الوسطية – غير المسلمين – المجتمع)

المبحث الأول: قواعد المنهج الوسطي للنبي صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين.

المبحث الثاني: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع اليهود.

المبحث الثالث: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع الأعراب والمشركين.

المبحث الرابع: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع المنافقين.

المبحث الخامس: آثر وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين على استقرار المجتمع وسلامته.

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات.

منهج الدراسة.

يعتمد البحث على المنهجين الاستنباطي والتاريخي، فمن خلال الأول تتم دراسة النصوص والمرويات التاريخية واستخراج قواعد المنهج النبوي في معاملة غير المسلمين مدعمة بالأدلة والشواهد المؤيدة لفكر الوسطية والاعتدال من خلال أحداث السيرة النبوية، وأما المنهج التاريخي فلترتيب الأحداث ترتيباً تاريخيا وتصنيفها في مباحث وموضوعات[1]، مع الوضع في الاعتبار الإجراءات التالية:

(١) حلمي محمد فودة، وآخرون: المرشد في كتابة البحوث، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، جدة، السعودية، ١٤١١هـ، ص ٤٢.

١- الالتزام بمنهج البحث العلمي من الأصالة والتوثيق والموضوعية.
٢- الاعتماد على الكتاب والسنة والمرويات التاريخية الصحيحة بفهم القرون الأولى .
٣- الاستشهاد بالمرويات الصحيحة تاريخياً وعدم إيراد المكذوب مع النقد والترجيح.
٤- الجمع بين أصالة المحتوى العلمي المدعم بالأدلة مع الأسلوب الواضح والعرض الميسر.
٥- التعريف بالمغمورين غير المشهورين من الأعلام الوارد ذكرها في البحث.

التمهيد: مفاهيم ومصطلحات العنوان (الوسطية – غير المسلمين – المجتمع).

الوسطية في اللغة مأخوذة من الوسط الذي هو اسم لما بين طرفي الشيء وهو خير من الأطراف دائماً فوسط الدابة خير من طرفيها للركوب لتمكن الراكب، وواسطة القلادة هي الدرة التي في المنتصف وهي أنفس خرزها [١].

وقد يطلق الوسط على ما له طرفان متساويان في القدر سواء كانا مذمومان أو أحدهما مذموم والآخر ممدوحاً، فأما ما كان طرفان مذمومان فمثل الجود بين البخل والسرف، والوسطية بين الإفراط والتفريط، فإن مال وزاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد [٢].

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ج ٧، دار صادر، الطبعة الثالثة عشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ص ص ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م، ص ٣٧.

وهذا النوع من الوسطية والاعتدال بين طرفين مذمومين في المعاملة هو المعنى المقصود من الوسطية الموجودة ضمن مصطلحات عنوان هذا البحث وهي تكاد تكون منتشرة في كل أحكام الدين؛ لأن القرآن جاء لأمة وسط بالأمور الوسط في كل شئون الحياة ومن ذلك الاعتدال في الملبس والمأكل والتنعم، فلا يكون المسلم مسرفاً فيها أو مفرِّطاً، ويبتغي بين ذلك قواماً.

وأما المقصود **بغير المسلمين:** فهم المشركون من قريش ومن غيرها من قبائل العرب، واليهود القاطنين في المدينة النبوية وحواليها ممن كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد، والمنافقون الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا نقيضه.

وكل هؤلاء اعتنى البحث بكيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم من خلال بعض النماذج عن كل فئة منهم؛ لأن البعض يظن أن حقوق ومكانة غير المسلمين في المجتمع المسلم تمثل عورة يمكن الهجوم على الفكر الإسلامي بسببها، ويستدعى هؤلاء بعضاً من المقولات الشاردة في الفقه الإسلامي وينتزعونها من سياقها السياسي والاجتماعي، ليذهبوا إلى القول بأن المجتمع المسلم لا مكان فيه للأقليات الدينية.

وأما **المجتمع** فهو مجتمع المدينة المنورة الذي ضم المسلمين من المهاجرين والأنصار مع من سبق تفصيلهم من غير المسلمين وهم جميعاً تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم يقودهم وفق قوانين وأنظمة الإسلام.

المبحث الأول: قواعد المنهج الوسطي للنبي صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين.

يلاحظ المتصفح للسيرة النبوية أن الوسطية والاعتدال ملازمين لمعاملات النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الوسطية في معاملة غير المسلمين خلال عصر الرسالة تأسست على مبادئ وقواعد راسخة يمكن استنباطها من خلال تتبع وتحليل مواقف النبي صلى الله عليه وسلم التي وردت مصادر السيرة النبوية المعتمدة وكتب السنة النبوية الصحيحة مثل: الرحمة والصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين وإرادة الخير للناس جميعاً، واحترام آدمية البشر وتكريم الله لبني آدم، ودفع أعظم الضررين واحتمال أخفِّهما، وإقرار الحقوق وتأدية الواجبات نحو المجتمع الذي يقلهم فوق أرضه ويظلهم تحت سمائه ويضم الجميع فيتمتعون بخيراته ومن ثم يتشاركون في بنائه والحفاظ عليه وحمايته.

أولاً: ابتغاء الخير للخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم .

فهذه القاعدة مشتركة أسس عليها المنهج النبوي المعتدل في معاملة الجميع وهو واضح في كل النماذج التي وقف عليها الباحث في معاملة الأعراب والمشركين واليهود والمنافقين، فقد دفعه حبه صلى الله عليه وسلم الخير لجميع البشر الذين أرسله الله لهم أن ينتهج في تعامله معه هذا المنهج وأن يتبع معهم هذا الأسلوب الأمثل وهو لا شك مسدد بالوحي(١).

(١) يمكن مراجعة موقفه صلى الله عليه وسلم من الغلام اليهودي الذي كان حريصاً على هدايته ساعة احتضاره. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة مصورة عن الطبعة: السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ٩٤، رقم الحديث ١٣٥٦.

ثانياً: التوازن وذم الإفراط والتفريط والغلو والتطرف.

وهذه القاعدة قامت عليها الوسطية النبوية في التعامل مع غير المسلمين في كثير من المواقف التي تحتاج إلى هذا النوع من العلاج ليتحقق الأمن والسلم المجتمعي خاصة في محاسبة المقصرين ممن وجبت العقوبة في حقهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في عقوبة المخطئين منهم ولا يفرط في حق المجتمع بتقديم العفو التام في كل المواقف ومع الجميع، بل كانت علاقاته مبينة على الوسطية المبنية على التوازن لا تطرف ولا غلو لا إفراط ولا تفريط بل كل يتعامل مع كل حدث بما يناسبه تماماً(١).

ثالثاً: إيجاد القدوة الحسنة ونموذج التأسي .

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على الاعتدال في معاملة غير المسلمين ليس فقط لتأليف قلوبهم بل كان حريصاً على صناعة القدوة لتعليم أصحابه هذا الخلق عن طريق الاقتداء والتأسي ولذلك كان إذا وجد جنوحاً من أحدهم عن جادة الوسطية رده بلطف ورحمة وكشف له عن الحكمة التي ينشدها من وراء هذا الأسلوب، فيجد منهم الاستجابة والتأسي(٢).

---

(١) يمكن مراجعة موقفه صلى الله عليه وسلم ثُمامة بنُ أُثال سيد بني حنيفة كنموذج ورد في الصحيحين. البخاري باب الربط والحبس في الحرم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٤٢٣، ومسلم: باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه ، رقم الحديث ١٧٦٤.

(٢) من ذلك رفضه صلى الله عليه وسلم مبادرة خالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب بقتل ذو الخويصرة المنافق مع علمه بنفاقه. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، ج ٤، تحقيق: د . عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، رقم الحديث ٤٩٢٩، ص ٨٦..

رابعاً: وسطية مبنية على الحقوق والواجبات.

تتضح هذه القاعدة في بناء منهج الوسطية في التعامل مع يهود المدينة الذين عقد معهم معاهدة الحقوق والواجبات وهي بلا شك أول وثيقة عادلة ترسي مبدأ المواطنة والتعايش السلمي القائم على الحقوق والواجبات بين أبناء المجتمع الواحد(١).

خامساً: وسطية مبنية على العفو والصفح.

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الوسطية القائمة على الصفح والعفو مع المشركين الذين آذوه وكذبوه وقاتلوه وأخرجوه ومن معه من مكة وأجبروهم على الهجرة إلى الحبشة مرتين ثم إلى مكة وأخذوا أموالهم ثم تعقبوهم في الحبشة وحاولوا أن يفسدوا عليهم مهجرهم، وخرجوا وإليهم عدة مرات للقضاء عليهم في المدينة حتى أمكن الله نبيه منهم بعد الفتح، فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: « اليوم يوم الملحمة تذل فيه قريش وتستباح فيه الكعبة»، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« بل اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشاً»، وأرسل إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى ولده قيس بن سعد، وأطلق النبي المشركين وأعتقهم وما زال يتألف قلوبهم بعد العفو بالمال حتى شرح الله صدور أئمة الكفر للإيمان ودخلوا في الإسلام وافرين(٢).

(١) جمال الدين محفوظ (اللواء الركن): تأمين قاعدة الإسلام بالمدينة بعد الهجرة، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٢٥، المحرم ١٤٠٣هـ، ص ١٥.

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ): المغازي، ج٢، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص ٨٢٢.

سادساً: وسطية مبنية على مبدأ الإعراض عن الجاهلين والرفق بهم لجهلهم.

تتضح هذه القاعدة في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأعراب كافرهم ومؤمنهم فهم أهل بادية أصحاب طبيعة جافة ونفوس غليظة وألسنة حادة لم تهذبهم البادية فكثيراً ما تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لغلظتهم التي كانت تتجاوز الإيذاء اللفظي إلى الإيذاء البدني، وكانوا لا يعرفون للنبوة حقها ولا للمقدسات قدرها جهلاً من بعضهم وجهالة من الآخرين، فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن جهالتهم، وقابل إساءتهم بالإحسان، وغلظتهم باللين والعفو والغفران، ولم يبادر بعقوبة الجاهل قبل أن يعلمه، مما كان له عظيم الأثر في تربيتهم وتهذيب أخلاقهم ورقة أفئدتهم فأسلم زعماؤهم وأسلم بإسلامهم الأتباع وأرسلت القبائل وفودها بالسمع والطاعة والدخول تحت راية الجماعة فاستفاد المجتمع من وجودهم وكثر بهم سواد المسلمين وقويت دولتهم وعظمت صولتهم(١).

سابعاً: وسطية واعتدال بدفع أعظم الضررين واحتمال أخفِّهما.

مثلما حصل في معالجة موقف الأعرابي الذي بال في المسجد حيث أمر النبي أصحابه أن يتركوا الأعرابي حتى يقضي بولته في الموضع الذي بال فيه وألا يخوفوه فيتحرك خوفاً منهم فيصيب جوانب المسجد من نجاسة بوله فيسيئوا للمكان من حيث أرادوا الإحسان، ولو أجبروه على حبس بولته قسراً ربما أصابه مرض يؤذيه خاصة أنه فعل ما فعل جهلاً بقدسية المكان وعلى هذا الأساس كان الاعتدال والتوسط مع الرفق هو السبيل الأمثل فليترك يقضي بولته في مكان واحد يسهل تطهيره وليعلم الأعرابي حتى تمحى جهالته(٢).

---

(١) يراجع المبحث الثالث: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع الأعراب والمشركين.

(٢) أورد الإمام البخاري قصته في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. الصحيح، رقم الحديث: ٦١٢٨.

ثامناً : قاعدة التعامل على أساس الظواهر والله أعلم بالباطن.

انتهج النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج مع المنافقين فلم يعاقبهم بمجرد علمه بنفاقهم وإنما عاقب من قامت عليه الحجة منهم، وهذا الأسلوب من أفضل الأساليب في معاملة هذه الفئة التي تظهر الإيمان وتبطن الكفر، فهم في الظاهر مسلمون لأن النفاق في القلب لا يطلع عليه أحد فلو قاتلهم دون جرم ظاهر لظن البعض أن محمداً يقتل أصحابه ونفروا من الدخول في الإسلام(١).

كما راعي النبي صلى الله عليه وسلم أقاربهم وأرحامهم من المسلمين فربما يغضبون للمنافقين إن أصابهم مكروه دون إثم ظاهر اقترفوه، لذا كان المنهج النبوي في معاملتهم على ما ظهر من أعمالهم حفاظاً على وحدة المجتمع.

تاسعاً : قاعدة الاعتدال المبني على الحلم .

اتبع النبي صلى الله عليه وسلم الوسطية المبنية على الحلم في مواقف كثيرة لعل من أبرزها ما فعله مع قبيلة دوس مما سيأتي تفصيله لاحقاً وهذا الاعتدال لا يعني أن أبداً أنه ينم عن ضعف عن مواجهة من اعتدى عليه أو على حق من حقوق الله تبارك وتعالى(٢).

(١) يراجع المبحث الرابع: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع المنافقين.

(٢) محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد (ت ١٣٨٨هـ): اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، رقم الحديث ١٦٤٠، ج ٣، ص ١٧٧.

المبحث الثاني: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع اليهود.

أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بحسن معاملة المعاهَدين والذميين من اليهود وغيرهم، وجعل لهم حقوقاً تحفظ أشخاصهم، وأهلهم، وأموالهم، ونهى عن ازدرائهم واستنقاصهم، حتى روى ثلاثون من أبناء الصحابة عن آبائهم، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله: ألا من ظلم معاهداً وانتقصه وكلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصبعه إلى صدره ألا ومن قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله حرَّم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً»[(١)].

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد الخير لأبناء اليهود والنصارى، ويرغب في إعتاقهم من النار، ويبيح زيارتهم، وتعزيتهم، وحسن جوارهم، والإحسان إليهم؛ أسند الخطيب البغدادي من طريق أحمد بن داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – فمرض، فأتاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعوده وهو في الموت، فدعاه إلى الإسلام، وأبوه عند رأسه، فنظر الغلام إلى أبيه، فقال له أبوه :أطع أبا القاسم، فأسلم ومات، فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » [(٢)].

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ): السنن الكبرى، ج ٩، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ص ٣٤٤، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ): صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج ١، المكتب الإسلامي، ط ٣، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٥١٨.

(٢) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» =

اختبر الرسول صلى الله عليه وسلم يهود عصره، فعندما قدم المدينة وضع ميثاقاً بين المسلمين واليهود في غاية الدقة، وحسن السياسة، فلم يعاملهم على أنهم أعداء ولا اعتبرهم لأول وهلة أولياء بل أخذ موقفاً وسطاً وعقد معهم ميثاقاً يحفظ الحقوق ويحدد الواجبات ويضمن انتظامهم ضمن مجتمع المدينة بحرية كاملة غير منقوصة وجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين، ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن بينهم النصر على من حارب أهل المدينة، وبينهم النصح والبر دون الإثم، وأن اليهود ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة(١).

وبهذا الميثاق المعتدل بدأت الملامح الأساسية لدولة المدينة تترسخ، وتخضع لحكم تشريع واحد هو الإسلام، ويقودها إمام واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكل فيها يتمتعون بحقوق معتدلة، وعليهم واجباتها متساوية، يتحدون إذا هوجمت من إي جهة من أعدائها، وبذلك تم تنظيم العلاقات بين أطياف وفئات المجتمع(٢).

=

(٥٨١ – ٦٥٤ هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ١٤، تحقيق: محمد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، دمشق – سوريا ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، ص ٢٦١، والحديث أورده البخاري مع اختلاف طفيف في بعض ألفاظه، عن أنس في كتاب الجنائز برقم ١٣٥٦.

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية، ج١، تحقيق: حقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، القاهرة، مصر، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ص ٥٠٤؛ ما ظننتم أن يخرجوا، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٦٣، ربيع الأول ١٤٠٤هـ، ص٤.

(٢) أحمد أحمد غلوش: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص ١٢٣.

ومن أروع نماذج وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود ما رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه :سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول يوم خيبر :«لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال :أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه، حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال :نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال :على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله! لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»[1].

فهذا المنهج المعتدل في منازلة العدو هو الذي كرست له وسطية النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة اليهود فالمسلون رسل هداية وليسوا طلاب دماء وأشلاء فهداية الغير هي الهدف الأسمى والغاية الأكبر من غزوات الرسول وهذا لن يتحقق بالمباغتة وإنما يكون بالهدوء في النزول والبدء بالدعوة بالحكمة فإن هم قبلوا كان الذي يرجو.

ومن صور الوسطية والاعتدال مع اليهود أنه لم يكن يتجاوز ويبالغ في رد بعض مكائدهم، بل كانت ردة فعله مساوية لفعلهم من غير زيادة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان اليهود يسلِّمون على النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: «السام عليك» – يعنون الموت ولا يريدون السلام– ففطنت عائشة رضي الله عنها إلى قولهم، فقالت: «عليكم السام واللعنة»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقالت: يا نبي الله، أولم تسمع ما يقولون، قال: أولم تسمعي أني أرد ذلك عليهم، فأقول:

(١) البخاري: باب غزوة خيبر، رقم الحديث ٤٢٠٩، وينظر: باب مناقب علي رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٧٠٢، ومسلم: باب من فضائل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، رقم الحديث ٢٤٠٦، ج ٤، ص ١٨٧٢.

وعليكم»[١]؛ فردَّ النبي صلى الله عليه وسلم إساءتَهم، ودعاءهم عليهم بالموت، من باب رد الاعتداء بمثله فقط من غير زيادة في ذلك ولا خروج عن حد الاعتدال، وبذلك يكون قد ملك نفسَه، وصان لسانه عن هؤلاء المعتدين وانتقى الكلمات والألفاظ التي حملت المعنى المراد للرد دون تصريح، ولم يرق له – صلى الله عليه وسلم – رد أم المؤمنين عائشة الصريح عليهم فعلَّمها كيف يكون رد العدوان بمنهج وسطي معتدل[٢]، وقال لها: «مه، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولاً، فرددناه عليهم، فلم يضرنا شيئاً، ولزمهم إلى يوم القيامة»[٣].

ولما تكررت هذه الإساءة وكثر تحريف اليهود للتحية وأراد بعض الصحابة قتل المسيء منعهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعلَّمهم الاعتدال والتوازن مع هذه الحالات بأن يردوا عليهم بمثل قولهم دون تجاوز، وفي ذلك منع للشقاق وحفاظ على وحدة المجتمع وصلابته، روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله

(١) البخاري: باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ولم يصرح، رقم الحديث ٦٩٢٧، ومسلم: باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، رقم الحديث ٢١٦٥.

(٢) عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٧٧؛ حمود بن أحمد الرحيلي: قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢٠، ص ص ٢٥، ٢٦.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج: سراج منير محمد منير، مراجعة: سليمان بن عبد الله العمير، عبد الرحمن بن صالح السديس، دار عطاءات العلم، ط ٣، الرياض، السعودية، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ص ٥١٤.

عنه قال: «مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السام عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :وعليك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أتدرون ما يقول؟ قال :السام عليك .قالوا :يا رسول الله، ألا نقتله؟ قال :لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[1]، يعني وعليكم بمثل ما قلتم وكفاية، ولا ريب أن دعاء اليهود على النبي وأصحابه مردود عليهم، بينما دعاؤه صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستجاب على اليهود الذين ظلموه بمقالتهم.

ومن المعلوم أن تركه صلى الله عليه وسلم قتلهم، وصبره على أذاهم لمصلحة التأليف بين أفراد المجتمع، ولأنهم لم يعلنوا ولم يصرحوا بالسب، وإنما لووا ألسنتهم[2]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هؤلاء الذين كانوا يحيونه– صلى الله عليه وسلم – بهذه التحية الظالمة، ممن كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ويقولون فيما بينهم: «لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول»، قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[3].

ومن عظيم خبره – صلى الله عليه وسلم – في الاعتدال مع اليهود أنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم اليهودي[4]، تقول عائشة: «حتى كان رسول الله صلى الله

(١) البخاري: الصحيح، رقم الحديث: ٦٩٢٦.

(٢) أحمد محمود خليل: وأد الفتنة دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، عمان – المملكة الأردنية الهاشمية ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ص ص ٤٠، ٤١.

(٣) سورة المجادلة: أية ٨.

(٤) هو لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاقة في جف طلعة ذكر تحت بئر ذروان، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري =

عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، وقد أعلمه به جبريل وأخبره بالذي سحره وأوحي إليه بشرح أمره عندما عقد له عقداً ونفث فيها نساء بيته ثم ألقاها في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، أو أرسل إليها علياً رضي الله عنه فجاء بالعقد وحلها فذهب ما به وكأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي وأعرض عن معاتبته فضلاً عن معاقبته حتى مات»[١].

ومن الواضح أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يقتله؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه؛ ولأنه خشي إذا قتله أن تحدث فتنة مجتمعية بين المسلمين وبين حلفاء اليهود من الأنصار، وهذا يتوافق مع القاعدة التي اتبعها –صلى الله عليه وسلم – في ترك معاقبة المنافقين لمجرد نفاقهم.

ويؤكد ذلك ما ذكر ابن سعد من قوله – صلى الله عليه وسلم –لعائشة رضي الله عنها عندما قالت: «يا رسول الله فأخرجه للناس، قال: أما الله فقد شفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً»[٢].

=

ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، ج ٨، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، القاهرة، مصر، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ص ٤٦٧.

(١) علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (القاري) (ت ١٠١٤هـ): شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق: عبد الله بن محمد الخليلي ج ٢، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ص ٤٢٥، ٢٤٨؛ وأصل الحديث في البخاري، في باب السحر، رقم الحديث ٥٧٦٣.

(٢) محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ): الطبقات الكبير، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ج ٢، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، ص ١٧٦.

ومن أروع الأمثلة في الوسطية مع اليهود تعامله صلى الله عليه وسلم مع زينب بنت الحارث[١] اليهودية التي أهدت له الشاة المسمومة بعد فتح خيبر [٢]، حيث نقل السهيلي عن ابن إسحاق أنه صفح عنها لحق نفسه ثم قتلها قصاصاً بمن مات من أصحابه بأكله منها كبشر بن البراء[٣] إذ لم يزل مريضاً حتى مات بسببه بعد سنة[٤].

(١) وهي زوجة سلام بن مشكم وابنة أخي مرحب وقيل اخته. يراجع، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ): تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د –ت)، ص٣٧٠، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء، ج ٢، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت– لبنان، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، ص ٨٨.

(٢) وأصل الحدث في البخاري رواه عروة عن عائشة رضي الله عنهما، باب الشاة التي سمت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر، رقم الحديث ٤٢٤٨.

(٣) بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي السلمي المدني: من أشراف قومه، شهد العقبة وبدراً وأحداً، وتوفي بخيبر سنة سبع من الأكلة التي أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التي سمتها اليهودية، قيل :إنه مات في الحال، وقيل :لم يزل معتلاً حتى مات بعد سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٦٩؛ أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج١، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج ، ط١، جدة، السعودية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م، ص ص ٩١، ٩٢

(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج٦، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ، ص ٥٧١.

فالنبي صلى الله عليه وسلم عفا عنها أول الأمر بعد أن أسلمت، فلما مات بشر رضي الله عنه أقام عليها الحد قصاصاً ولو لم يمت رضي الله عنه لتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأنها.

بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلِّم أصحابه الإنصاف والاعتدال عند إصدار الأحكام في الأمور التي تقع بين المسلمين واليهود داخل المجتمع مثلما فعل مع عمر رضي الله عنه عندما جاء زيد بن سعنة اليهودي[١] يطلب ديناً له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، استدانه منه قبل إسلامه.

روى الزهري :«أن يهودياً كان يجد صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – في التوراة، فأسلفه ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، فلما بقي من الأجل يوم جاءه، فقال :يا محمد، أعطني حقي فإنكم يا بني عبد المطلب قومٌ مطلٌ، فقال له عمر :يا خبيث، والله لولا مكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لضربت عنقك، فنهاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : نحن إلى غير هذا أحوج، هلا أمرتني بقضاء دينه أو أعنته على قضاء حقه، ثم قال له : اذهب به إلى حديقة كذا وكذا فأعطه حقه وزده، قال اليهودي: فمضى بي عمر إلى الحديقة فأعطاني حقي، وزادني، ثم رجع اليهودي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : والله ما حملني على ما قلت إلا أني وجدت صفتك في التوراة، فاختبرت الجميع إلا الحلم، وقد رأيت من حلمك ما سرني، وأشهد أنك

(١) زيد بن سعنة كان من أحبار اليهود ومن أثراهم مالاً، أسلم فحسن إسلامه، شهد مشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في غزوة تبوك. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ): معرفة الصحابة، ج ٣، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط ١، الرياض، السعودية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ص ١٨٤.

رسول الله، ونصف مالي في فقراء المسلمين، وأسلم أهل بيت ذلك اليهودي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعمر: إن لصاحب الحق مقالاً»[١].

ومن بركة وسطية واعتدال النبي مع هذا اليهودي أنه كان أعلم من أسلم من أحبار اليهود وأجلهم وأكثرهم مالاً شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي في طريق عودته من غزوة تبوك إلى المدينة[٢].

المبحث الثالث: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع الأعراب والمشركين.

كان للأعراب والمشركين مواقف شديدة حيال النبي صلى الله عليه وسلم سجلتها أحداث السيرة النبوية في العهد المدني وكان رسول الله صلى الله وسلم يتصرف معهم بغاية الوسطية والاعتدال القائمين على الحكمة والعفو مع الرحمة للحفاظ على مجتمع المدينة المنورة الناشئ، فبعض الأعراب من سكان البادية اتسمت تعاملاتهم بالجفاء والشدة إذ لم تهذبه الحاضرة ولما يؤثر فيه الإسلام بعد فبعضهم كان مشركاً وبعضهم حديث عهد بإسلام ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم بما يناسب أحوالهم في اعتدال مبني على الرفق بالجاهل لجهله فمن العدل مع الجاهل أن يعلم ولو عوقب قبل ذلك لكان إجحافاً لحقه.

فحين شده الإعرابي وقال له: أعطني من مال الله الذي أعطاك ليس من مالك ولا مال أبيك! أعطاه – صلى الله عليه وسلم – برفق من غير أن يعنِّفه بل أعرض عن جهله حتى علمه قويم الأخلاق.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك عن أنس بن مالك قال :«كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه

(١) ابن الجوزي: مرآة الزمان...، ج٤، ص ٣٦٣.

(٢) علي القاري: شرح الشفا، ج ٢، ص ٢٥١.

أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس :فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال :يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[١].

زاد صاحب الشفا قول الأعرابي: «فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال: المال مال الله وأنا عبده، ثم قال –أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم – ويُقَاد منك يا أعرابي ما فعلت بي، قال: لا، قال: لِمَ، قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيراً وعلى الآخر تمراً ، قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة»[٢].

ومن أجمل ما يذكر أن الأعراب عرفوا أخلاقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يرد السيئة بمثلها وإنما يدفع السيئة بالحسنة، ولم يخف عليهم اعتداله صلى الله عليه وسلم وعدم تحامله على الجاهل لجهالته فقد ردد: المال مال الله وأنا عبده، وأمر للأعرابي بما يريد من عطاء غير أن هذا لا يمنع من طلب القود لما أصابه في عنقه فرفض الأعرابي لعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ومن ثم ضحك صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه.

---

(١) البخاري: باب التبسم والضحك، رقم الحديث ٦٠٨٨.

(٢) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت ٨٧٣هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م، ج١، ص ١٠٨.

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم فوائد هذا الاعتدال المبني على الرفق بالجاهل وضرورة ترويضه قبل عقابه بقوله: كما في مسند البزار: «إن مثَلي ومثَل هذا الأعرابي كمثَل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فاتَّبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي؛ فإني أرفَق بها وأعلَم، فتوجَّه لها صاحب الناقة بين يديه، فأخَذ لها من قُمام الأرض، فردَّها هونًا حتى جاءت واستناخت، وشدَّ عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[1].

وفي المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم بيان شاف لضرورة الاعتدال وعدم الغلو مع هؤلاء الذين يحتاجون إلى منهجية خاصة في التعامل لأن الشدة معهم تأتي بنتائج عكسية تماماً.

ومن ذلك أيضاً وسطية النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – واعتداله مع الأعرابي الذي بال في المسجد:«بينما النبي جالسٌ ذات يوم بين أصحابه في مسجده، إذ دخل أعرابي فصلى ركعتين ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال رسول الله: لقد تحجَّرت واسعًا، ثم ما لبث أن عرضت له حاجته، فتنحَّى وتبوَّل في ناحيةٍ من المسجد، فثار إليه الصحابة ليقعوا به بسبب هذه الفعلة الشنيعة، وهو الذي دعا عليهم قبل قليل بالحرمان من رحمة الله، ثم هو لا يدرك حرمة المساجد، أمَا يدري أن طهارة المكان شرطٌ من شروط صحَّة الصلاة؟ كيف يجعل من ميدان الطُّهْرِ محلاً لقضاء حاجته؟ رأى النبي هبَّة الصحابة في وجه الأعرابي، وأدرك أن مثل هذا الأعرابي جاهِلٌ بأحكام المساجد،

(١) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢ هـ): مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، ج ١٥، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم – ط ١، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٩م، رقم الحديث ٨٧٩٩، ص ٢٩٤.

غير قاصد هتك حرمتها، فقال: «لا تُزرِموه»، لا تروعوه ودعوه؛ وذلك حتى لا يتأذَّى بحبس بوله وانقطاعه، وأرشدهم إلى حلٍّ بسيطٍ تصغر بمثله كلُّ مشكلة مهما كبرت في عيون أصحابها، فقال: «هريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء؛ فإنما بُعِثتم ميسِّرين ولم تُبعَثوا معسِّرين»، ثم لما أتَمَّ الرجل حاجته دعاه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال له موجِّهًا وناصحًا: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القَذَر، إنما هي لذكر الله – عزَّ وجلَّ – والصلاة وقراءة القرآن[١]».

وفي هذا الحدث تبدو الوسطية لدفع أعظم الضررين مع الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء، إذ لم يأتِ بالمخالفة استخفافًا أو عنادًا، وفيه احتمال أخفِّ الضررين ودفع الأعظم منهما «دعوه حتى يقضي وطره» في موضع واحد محدد ، فلو تركهم ينهروه ربما هرب منهم وتحرك في نواحٍ مختلفة من المسجد فيصيبها من نجاسة بوله جميعاً، ولو أجبروه على حبس بولته قسراً ربما ضرَّه ذلك في بدنه ضررا بالغاً، فكان الاعتدال والتوسط مع الرفق هو السبيل الأمثل فليترك الأعرابي يقضى بولته في مكانه ثم يعالج الأثر بإراقة الماء عليه حتى تزول نجاسته؛ وليعلَّم الأعرابي حتى تمحى جهالته.

ولما تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث[٢] حين عودته من غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة يريد قتله ورسول الله

(١) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا اللفظ في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. الصحيح، رقم الحديث: ٦١٢٨.

(٢) غورث بن الحارث، له صحبة. الذهبي :سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٤٥٩، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ج٣، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٦٧م، ص ٥٢.

نائم في القيلولة تحت ظل شجرة بعيد عن أصحابه لم ينتبه من نومه إلا والأعرابي شاهراً سيفه عند رأسه، فقال: «مَن يمنعك مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله، فسقط السيف مِن يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: مَن يمنعك؟ فقال: كن خيرَ آخذٍ، قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟، قال: أعاهدك على ألاَّ أقاتلَك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلَه، فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس»[1] .

فالنفع كان في الاعتدال والوسطية فلا النبي صلى الله عليه وسلم قتله وقضى عليه ولا هو أفرج عنه بلا فائدة فربما يعاود الكرة عليه أو يستعدي عليه غيره وإنما المصلحة تقتضي الإبقاء عليه حياً وتخلية سبيله بعد دعوته للإسلام فإن لم يقبل فليعاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم المقاتلة المباشرة وألا يعين عليه أعدائه، وكانت النتيجة ما عبر عنه غورث لما عاد إلى قومه بقوله: «جئتكم من عند خير الناس»، وكان ذلك سبباً في إسلامه وبذلك اكتسب المجتمع المسلم أولياء في صفوف أعدائهم أسرتهم أخلاق النبوة وجندتهم الرحمة والوسطية.

ولم يكن هذا المنهج مقتصراً على بعض الأفراد بل كان يتبعه صلى الله عليه وسلم مع القبائل أيضاً ومن ذلك أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله

(١) رواه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ): المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، ج٣، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١١ – ١٩٩٠ م، ص ٢٩.

عنه قال: «جاء الطفيل ابن عمرو الدوسي[١] رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليهم، فاستقبل القبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه، فقال الناس :هلكوا، فقال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم، اللهم اهد دوساً وأت بهم، اللهم اهد دوساً وأت بهم[٢]».

وأما الوسطية في تعامله صلى الله عليه وسلم مع مشركي قريش فتبدو في أسمى معانيها بالوفاء بعهدهم فعندما أسرت قريش حذيفة بن اليمان[٣] وأباه قالوا :إنكم تريدون محمداً؟ فقالوا ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منهم عهد الله وميثاقه وأطلقوهم على أن ينصرفوا إلى المدينة ولا يناصرون محمداً. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر، فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[٤].

(١) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي .وقيل :هو ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم، لقبه ذو النور. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ص ٤٢٢.

(٢) محمد فؤاد بن عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان، رقم الحديث ١٦٤٠.

(٣) حذيفة بن اليمان العبسي، أبو عبد الله، صحابي وابن صحابي هاجر مع أبيه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– مات بعد عثمان بأربعين يوماً. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ): التاريخ الكبير، ج٣، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الرياض، السعودية، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩ م، ص ٤٦٥.

(٤) رواه مسلم: باب الوفاء بالعهد عن حذيفة ابن اليمان، رقم الحديث: ١٧٨٧.

ومن مظاهر وسطيته صلى الله عليه وسلم مع المشركين اعتداله – صلى الله عليه وسلم – مع الأسرى وإكرامه لهم بعد الغزوات، فقد غدا ذلك مظهراً فريداً من مظاهر الوسطية الكاملة، في وقت تُستَباح فيه الحرمات والأعراض.

فقبل معركة بدر أسر الصحابة غلامين لقريش على الماء يستقيان للقوم والنبي قائم يصلي فاشتد الصحابة عليهما لما قالوا: «نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فضربوهم حتى قالوا : نحن لأبي سفيان، ونحن في العير، فأمسكوا عنهم، فلما سلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم، ثم أقبل عليهم يسألهم، فأخبروه أن قريشاً خلف هذا الكثيب، وأنهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً، واعلموه بمن خرج من مكة» [(١)].

فشدة الصحابة رضوان الله عليهم مع الغلامين لم تؤت أكلها ليعلموا من في جيش العدو من صناديد قريش ولم يَبُح الغلامان بما يفيد جيش المسلمين حتى فرغ النبي صلى الله عليه سلم من صلاته وعاملهما باعتدال وتوسط فجمع ما يريد من أخبار عن العدو.

ولما استشار النبي – صلى الله عليه وسلم – وزراءه من الصحابة في أُسارى بدر (١٧ رمضان ٢هـ) وهي أول موقعة في الإسلام تخلف بعدها الغنائم والأسارى؛ وكانت آراؤهم متفاوتة بين أصوات تنادي بقتلهم وأصوات تنادي بالعفو التام عنهم، فاختار صلى الله عليه وسلم الحل الوسط بين المتوازن بين سياسة الترفق واللين وسياسة العنف والشدة وهو فداءهم بالمال ومن لم يملك مال الفداء

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ): إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج ١، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ص ٩٧.

جعل الرسول فداءه أن يعلِّم أولاد الأنصار القراءة، وكل من يعلِّم عشرة من الغلمان يفدي نفسه(١)، ولا ريب في أن الوسطية في هذا الموقف عادت على مجتمع المسلمين بالنفع المادي والثقافي وأبقت على صِلات الأرحام بين بعضهم وبين أهل مكة.

روي البيهقي عن ابن عباس قال: «فلما أسروا الأسارى – يعني يوم بدر – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر وعلي وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟

فقال أبو بكر :يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا بن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان؛ فقال عمر: «يا رسول الله، من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؛ فإن وجدت بكاء، بكيت، وإن لم أجد بكاء، تباكيت؛ لبكائكما»، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء؛ لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة»، وأنزل الله – تعالى – قوله :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ » (٢) .

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص ١٣٣، كما أورد الحاكم حديثاً عن ابن عباس رضي الله عنهما يفيد ذلك، الحاكم: المستدرك، ج٢، ص ١٥٢.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٣، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، ص ١٣٧، ورواه الإمام مسلم: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم الحديث ١٧٦٣، والآية من سورة الأنفال: ٦٧

وحين جيء بالأسرى بعد بدر ووزعهم النبي– صلى الله عليه وسلم – بين المشاركين في الغزوة من أصحابه وأوصاهم بهم خيراً لعل الاعتدال في معاملهم تكون سبباً لفتح قلوب بعضهم للدخول في دين الوسطية، الذي يعلم أتباعه الإحسان إلى أعدائه بعد التمكن منهم والمقدرة التامة عليهم.

فهذا أبو عزيز بن عمير، أخو مصعب بن عمير، يحدث عما حدث معه في بيت أسره، فيقول: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «استوصوا بالأسارى خيراً» وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر؛ فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إياهم بنا؛ ما تقع في يد رجل منهم كِسرة خبز إلا نفحني بها، قال: فأستحيي؛ فأردُّها على أحدهم؛ فيردها عليَّ ما يمسها»[(١)].

وهذا الموقف آية على حسن معاملة الأسير في الإسلام وإيثاره بأفضل ما عند آسريه مما لا نجد له مثيلاً في تواريخ الدنيا[(٢)].

ومثل ذلك ما وراه البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما قال: «لما كان يوم بدر أتي بالأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه»[(٣)].

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٩٦٧.

(٢) أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج٢، مكتبة العلوم والحكم، ط٦، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص ٣٧١.

(٣) رواه البخاري في باب الكسوة للأسارى. رقم الحديث: ٣٠٠٧.

كان هذا الخُلق الكريم، الذي غرسه القائد الرحيم – صلى الله عليه وسلم – في نفوس أصحابه وجنده ورعيته، قد أثَّر في إسراع مجموعة من كبار الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام، وعادوا إلى أهليهم، يتحدثون عن وسطية واعتدال محمد وأصحابه والإحسان إليهم في معاملتهم وسماحته معهم مما كان له عظيم الأثر على سمعة الدعوة في مكة.

وكثيراً ما أطلق – صلى الله عليه وسلم – سراح الأسرى في سماحة بالغة مما كان له أثره كبير عليهم، فهذا ثُمامة بنُ أُثال(١) سيد بني حنيفة، يؤتى به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أسيراً، فيخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ربطه الصحابة في سارية بالمسجد ويقول: «ماذا عندك؟ يا ثمامة، فقال: عندي، يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وقال: يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح

(١) ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي، أبو أمامة اليمامي. ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٥٢٥.

دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي.. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي – صلى الله عليه وسلم –» (١).

فهذه قمة الوسطية والاعتدال من النبي صلى الله عليه وسلم حيث خيره ثمامة بين ثلاث خيارات الأول: أن يعفو عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها يسجد ثمامة من الشكر على هذا الإحسان، وإن يقتله فهو محق لما أصاب من دماء المسلمين، وإن أراد افتدائه بمال فهو مجاب لما يريد منه، فتمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتخذ قراره المبني على أصول الوسطية بالعفو التام غير المشروط فالمال فليس له بغاية وكذلك القتل، بل يريد تحقيق المصلحة الدعوية بأن يكسب سيداً مثل ثمامة يتبعه قومه في اعتناق الإسلام.

ويلاحظ في كل الحروب التي خاضها النبي – صلى الله عليه وسلم – أن وسطيته واعتداله مقدمة مع أعدائه، فلم يكن يقصد من وراء الغزوات والسرايا دماراً أو خراباً، ولا استئصالاً جذرياً، ولا إبادة جماعية، بل كانت حروب رحمة وخلق رفيع، تقصد ردع المعارضين، وفسح الطريق لنشر دين الله.

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما –:«أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي – صلى الله عليه وسلم – مقتولة، فأنكر – صلى الله عليه وسلم – قتل النساء والصبيان»(٢).

---

(١) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا اللفظ في باب الربط والحبس في الحرم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٤٢٣، ومسلم: باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه ، رقم الحديث ١٧٦٤.

(٢) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا اللفظ في باب قتل الصبيان في الحرب، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. الصحيح، رقم الحديث: ٣٠١٤.

بل كان – صلى الله عليه وسلم – يوصي الجنود في الغزوات والقادة في السرايا بالاعتدال في الغزو وعدم الغلو في التنكيل بالعدو: «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا»[١] .

ولما رأى الرسولُ أسارى بني قريظة، – الذين خانوه يوم الأحزاب في شوال من السنة الخامسة– موقوفين في قيظ النهار تحت الشمس وكان يوم صائفاً حرارته زائدة؛ أمر حراسهم قائلاً: «أحسنوا إسارهم، وقيِّلوهم، وأسقوهم حتى يبردوا...، لا تجمعوا عليهم حرَّ هذا اليوم وحرَّ السلاح »[٢].

ومن مظاهر الوسطية اعتداله وعفوه صلى الله عليه وسلم عمن دبر لاغتياله في الوقت الذي كان يستحق القتل عقوبة عادلة لجرم اقترفه، وهو عمير بن وهب الجمحي[٣] الذي جلس مع صفوان بن أمية[٤] بعد وقعة بدر بوقت يسير في الحِجْر ودبرا قتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أن يتكفل صفوان بدين عمير وعياله، فلما وصل عمير المدينة كشف الله أمره وأخبر نبيه – صلى الله عليه وسلم – بحاله، فقرَّبه النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: أدن يا

(١) مسلم: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها ، رقم الحديث ١٧٣١.

(٢) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٥١٤.

(٣) عمير بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي يكنى أبا أمية. ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ص ٦٠٣، ٦٠٤.

(٤) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو، وأمه صفية ابنة يعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، يكنى أبا وهب، أسلم بعد الهجرة، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت ٣١٧هـ): معجم الصحابة، ج ٣، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، ط١، الكويت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ص ٣٣٤.

عمير وأخبره بخبره فأسلم عمير مباشرة، ثم قال: «يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى»، فلما رجع أسلم على يديه ناس كثيرون(١).

وهذه نتيجة مقبولة لاعتداله صلى الله عليه وسلم، ولنا أن نتخيل لو بادره رسول الله بالقتل عقوبة على جريمته هل كان سيجني ما جناه من ثمار الوسطية القائمة على العفو والرحمة؟.

وفعل الشيء نفسه مع فضالة بن عمير بن الملوح(٢) لما همَّ أن يقتله – صلى الله عليه وسلم – وهو يطوف، فلما دنا منه، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: « أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال :لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك النبي – صلى الله عليه وسلم– ثم قال : استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليَّ منه(٣)».

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٦٦٣.

(٢) اختلف في اسم أبيه، فقيل :فضالة بن عبد الله، وقيل :فضالة بن وهب بن بحرة بن بحيرة بن مالك بن عامر، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة الليثي، وقيل :فضالة بن عمير بن الملوح الليثي وهو ما ذكره ابن حجر. ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢٨٤، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص ٣٤٧.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤١٧، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص ٥٠٥.

ولما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق شعبان من السنة الخامسة تزوج النبي جُوَيْرِيَة بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد القبيلة وعامل أهلها باعتدال فأسلم كثير منهم وأطلق المسلمون مائة أسير إكراماً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالت عائشة رضي الله عنها: «فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها»(١).

واستكثر الصحابة على أنفسهم أن يتملَّكوا أصهار نبيهم وقائدهم – صلى الله عليه وسلم – وحيال هذا العتق الجماعي، وإزاء هذه الأريحية الفذة؛ دخلت القبيلة كلها في دين الله.

إن مرد هذا الحدث التاريخي وسببه البعيد، هو حب الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتكريمهم إياه، وإكبارهم شخصه العظيم، وتأسيهم بوسطية قائدهم واعتداله في معاملة الأسرى، التي عهدوها منه في حروب سابقة.

وبعدما كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – كتاب صلح الحديبية ذي القعدة من السنة السادسة. لقريش كره بعض سفهائهم هذا الصلح مع المسلمين ونزل ثمانون رجلاً منهم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، لكن الله خذلهم وكشف أمرهم فأخذوا، وأسرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم عفا عنهم، ففي شأن هؤلاء أنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢).

أراد صلى الله عليه وسلم بعفوه عن هؤلاء السفهاء أن يحافظ على مكتسبات المسلمين في الصلح الذي اعتبره القرآن الكريم فتحاً مبيناً، فلو قتلهم

(١) الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠١م، رقم الحديث: ٦٣٦٥، ج ٤٣، ص ٣٨٥.

(٢) رواه الإمام أحمد: المسند، رقم الحديث ١٢٢٢٧، والآية من سورة الفتح: أيه ٢٤.

كان محقاً لكن ذلك بلا ريب سيؤدي إلى صدع كبير بينه وبين قريش الذين صالحهم ليتفرغ لتحقيق عالمية الدعوة.

ومن ذلك اعتداله العظيم وتوسطه الكريم – صلى الله عليه وسلم – في تعامله مع كفار قريش يوم فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة وهم الذين آذوه واستهزأوا به، وأخرجوه وأصحابه من ديارهم، ثم قاتلوهم، وحرضوا عليهم غيرهم من مشركي العرب، وخببوا عليهم حلفاءهم من بني قريظة حتى اجتمعوا على المسلمين في المدينة يوم الأحزاب، ثم لما فتح الله مكة ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن قال لهم: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء». وعفا عنهم بعد أن أمكنه الله تعالى منهم، وضرب بذلك المثل الأروع في الاعتدال مع الجناة بعد القدرة عليهم والتمكن منهم.

ولما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين في عاشر شوال من السنة الثامنة أعلن أن من جاء من هوازن مسلماً رَدّ إليه ماله وأهله، وانتظرهم بضع عشرة ليلة فلم يأت منهم أحد، ثم قام بتوزيع الغنائم على المسلمين، وبعد توزيعه للغنائم جاءه وفد من هوازن، وقد أسلموا، فقالوا: «يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منَّ الله عليك، ورُدَّ علينا سَبْينا وأموالنا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم :إنّ معي من ترون، وإن أحبَّ الحديث إليَّ أصدقه، فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما كنّا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال :أمّا بعد، فإنّ إخوانكم هؤلاء، قد جاؤوا تائبين، وإنّي قد رأيت أن أردّ إليهم سبيهم، فمن أحبّ أن يرد السبْي برضا نفسه وطيب قلبه فليفعل، ومن أحبّ منكم أن يكون على

نصيبه حتى نعطيه إياه من أول مال يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس: قد طيبنا لك يا رسول الله»[١].

وأكمل النبي صلى الله عليه وسلم برَّه وعفوه وإحسانه مع هوازن، فسأل عن قائدهم وزعيمهم مالك بن عوف[٢]، فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال: «أخبِروه أنه إن أتاني مسلماً رددْتُ إليه أهله وماله، وأعطيتُه مائة من الإبل، فلما بلغ ذلك مالكاً انسل من ثقيف خفية، وركب فرسه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، فأسلم وحسُن إسلامه، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على قومه»[٣].

وهنا كان أمام النبي صلى الله عليه وسلم أحد خيارين إما أن يرفض طلب وفد ثقيف ممن أسلموا ووفدوا عليه بالكلية، وإما أن يقبل طلبهم كاملاً ويرد لهم المال والسبي جميعاً، فاختار التوسط والاعتدال بينهما وهو أن يخيِّرهم بين المال والسبي حتى لا يحرم المنتصرين حقهم وفي الوقت نفسه يخفف عن المنهزمين آلامهم ويجبر خاطرهم، وتبدو الوسطية والاعتدال مع الإنصاف في طريقة شفاعته لهوازن عند أصحابه ليرد كل واحد ما تحت يده مما أفاء الله عليه من

(١) وأصل هذا الحديث رواه البخاري في باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم، من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير. الصحيح، رقم الحديث: ٢٣٠٧.

(٢) مالك بن عوف بن مالك بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن أسلم وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٤٧٣.

(٣) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ): مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، (د – ت)، ص ١٢٣.

نسائهم وأولادهم حيث كان حريصاً على تطييب نفوسهم فهو يَنشد في ذروة انتصاره أن يكسب قلوب الناس، أكثر من رغبته في المال.

ومن وسطية النبي صلى الله عليه وسلم مع أشراف قريش إعطاؤهم والإغداق عليهم بالأموال تأليفاً لقلوب مشركهم وطمعاً في إسلامه وإسلام من خلفه، ودفعاً لشرورهم، وتثبيتاً لإسلام من أسلم منهم قريباً، مثلما فعل عند توزيع غنائم هوازن حتى إن بعض شباب الأنصار تحدث عن ذلك بما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن أناساً من الأنصار قالوا، يوم حنين، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا :يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»، فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم وسألهم عن قولهم، وعلل لهم صنيعه بقوله: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر؛ أتألفهم». أي أستميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام(١).

فهؤلاء الأشراف لهم مكانتهم بين أقوامهم ولا يمكن مجابهتهم جميعاً حتى لا يتكبد المسلمون المشاق الجسام وفي الوقت نفسه لا يمكن الغفلة عن خطورتهم فكان الاعتدال والتوسط بتأليف قلوبهم بالمال فمنهم من كان يعطيه دفعاً لأذاه، ومنهم من كان يعطيه طمعاً في إسلامه وإسلام نظرائه وأتباعه، ومنهم من كان يعطيه ليثبت على إسلامه، لقرب عهده بالجاهلية.

إن من نواحي الوسطية في شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم عدم دعائه على المشركين بالهلاك، فبالرغم من العذاب الشديد والأذى الكبير الذين لاقاهما – صلى الله عليه وسلم على يد المشركين ومع ذلك لم يدفعه

(١) رواه مسلم في باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، رقم الحديث: ١٠٥٩.

إيذاؤهم أن يدعُ عليهم بالهلاك والإبادة، ويظهر ذلك جلياً في رحلته لبلاد الطائف وما فعله به أهلها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحُدٍ؟ قال: لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلالٍ ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمُرهُ بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمدُ إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت اطبقتُ عليهم الأخشبين، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(١).

وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال في بعض كلامه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، وإنك لو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد، وطيء ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٢).

وهنا ينبغي على كل ذي عقل أن يبصر ما في هذا القول من والاعتدال والفضل والإحسان والصبر مع الحلم مع شرار الخلق إذ لم يقتصر صلى الله

(١) رواه البخاري في باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة. الصحيح، رقم الحديث: ٣٢٣١، ومسلم: باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث ١٧٩٥.

(٢) علي القاري: شرح الشفا، ج ١، ص ٢٤٦.

عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال: «اغفر لقومي» بإضافتهم لنفسه الكريمة بياء المتكلم، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: «فإنهم لا يعلمون».

وللقسطلاني تعليق لطيف على هذا المنهج النبوي: أنه- صلى الله عليه وسلم- لما شُجَّ رأسه عفا وقال: « اللهم اهد قومي»، وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال:«اللهم املأ بطونهم نارا»، «فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف، وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه، فإن وجه الدين هو الصلاة، فرجَّح حتى خالقه على حقه» (١).

وخلاصة القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حروبه ضد أعدائه أبعد الناس عن سفك الدماء، وأقربهم إلى العفو والرحمة والاعتدال حتى في أشد حالات الغضب وأوج الانتصارات العسكرية.

المبحث الرابع: وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتداله مع المنافقين.

انتهج النبي صلى الله عليه وسلم منهج الوسطية والاعتدال مع المنافقين فلم يعاقبهم بمجرد علمه بنفاقهم وإنما عاقب من قامت عليه الحجة منهم عقاباً يلائم جرمه.

وهذا أفضل الأساليب في معاملة هذه الفئة التي تتغلغل بين الناس وتظهر بينهم بمظهر الإيمان، حتى اشتهر أنهم من جملة المؤمنين والصحابة ولذلك تركهم صلى الله عليه وسلم آمنين في ديارهم لم يتهك ستر الله عنهم، فالنفاق سر في القلب لا يطلع عليه أحد والناس قريبو عهد بإسلام لم يتميز أمامهم المرائي من المخلص فلو قاتل المنافقين لمجرد علمه بما أسروا في أنفسهم

(١) أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ٢، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، (د – ت)، ص ١٥٠.

لوجد المنفرون من الدين بغيتهم في التنفير عن دين محمد الذي يقتل أصحابه، ولارتاب الشاردون ممن لا اطلاع لهم على ما في النفوس ولا تصديق عندهم لما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل النفاق؛ ولأرجف في المدينة من ضعف دينه وسقم يقينه ولزعم الزاعم أن القتل للمنافقين إنما كان لعداوة دنيوية قديمة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[١].

كما راعي النبي صلى الله عليه وسلم أقاربهم وأرحامهم من المسلمين خاصة أن عدد المنافقين في المدينة كان كبيراً، يمالقونه إذا حضر ويؤذونه إذا غاب عنهم ولهم أقاربهم الذين لا يطلعون على نفاقهم وسيغضبون لهم إن أصابهم مكروه دون ذنب ظاهر اقترفوه.

وهذا بخلاف الجرائم الظاهرة والمخالفات الثابتة لوضوح أمرها واشتراك الناس في حكمها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في التوسط والاعتدال في مواجهتها، ويظهر ذلك حين قال له ذو الخويصرة المنافق[٢] وهو يقسم غنائم بدر أو غنائم حنين وقيل غير ذلك : «اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله»، فلم يزده النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه إلا أن بيَّن له ما جهله، ووعظه ونصحه بلهجة معتدلة لا تعصب فيها ولا تهاون وذلك بقوله :

(١) محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي: شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٢، تحقيق: جنة من العلماء برئاسة: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص ٢٤٢.

(٢) حرقوص ابن زهير السعدي التميمي من بني تميم كانت له صحبة وشهد معه صفين، ثم صار من أشد الخوارج على علي بن أبي طالب، قتل سنة سبع وثلاثين. ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٧١٤.

«ويحك»، وهي كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، موضحاً له أنه صلى الله عليه وسلم أحرى الخلق بالعدل بقوله: «فمن يعدل إن لم أعدل، خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل» فالمعنى حُرمت الخير وخسرته في متابعتي إن لم أعدل في قسمتي، وحاصله لحقت بك الخيبة في الدنيا وخسرت في العقبى إذا اعتقدت أني لم أعدل(١).

فنلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم هذا المنافق أن كلامه هذا إن كان اعتقاداً فهو خيبة وخسران وخروج من الإسلام؛ لأنه نفى عن النبي صفة العدل وهي من لوازم العصمة التي أوجبها الله له ولإخوانه من الأنبياء، ولكنه في الوقت نفسه أسقط عنه ما وجب له عليه من القتل بناءًا على ظهور ردته بسبب طعنه في النبي صلى الله عليه وسلم بنفي عدله؛ وذلك رعاية لإيمانه الظاهر والله أعلم بالسرائر.

ونهى خالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب من قتل المنافق مع علمه بنفاقه لما ورد في بعض طرق هذا الحديث: «إن هذا وأصحابًا له يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»(٢) .

وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبيٍ ابن سلول رئيس أهل النفاق على مقالته الشنيعة عند عودة المسلمين من غزوة بني المصطلق: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، وقد أراد بالأعز نفسه وبالأذل أعز خلق الله سبحانه

---

(١) والحديث بكامله رواه البخاري في باب: علامات النبوة في الإسلام، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. الصحيح، رقم الحديث: ٣٦١٠.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، ج ٤، تحقيق: د . عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، رقم الحديث ٤٩٢٩، ص ٨٦.

وتعالى؛ بل قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن أشار من أصحابه بقتل بعض المنافقين بعد أن بلغه قول ابن أبي: «والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قيل سمِّن كلبك يأكلك، أما والله إن رجعنا الآية، ثم قال لقومه والله إن أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد»، فقال زيد بن أرقم: «أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين»، ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: «يا رسول الله دعني أضرب عنقه»، فقال: «إذن ترغاد له أنوف كثيرة»، فقال عمر: إن كرهت أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر سعد بن عبادة أو محمد بن مسلمة أو عبادة بن الصامت، فليقتلوه فقال: لا، لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[١].

فمع علم النبي صلى الله عليه وسلم بمقالة هذا المنافق إلا أنه ترك معاقبته مراعاة لوحدة الصف وتلاحم المجتمع فلو قتله مهاجر ربما تعصب لقتله الأنصار، ولو قتله خزرجي ربما تعصب له الأوس، وقيل بأن علَّة الترك رعاية إسلامه الظاهري، وفي هذا دليل على ترك بعض الأمور التي يجب تغييرها مخافة أن يترتب عليها مفسدة أكبر منها [٢].

كما أبدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتدالاً عظيماً وضبطاً للنفس في حادثة الإفك التي تولى كبرها عبد الله بن أبي ابن سلول أيضاً، وأتهم هو من معه من المنافقين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فوقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم موقفاً وسطاً فلم ينفِ ولم يثبت مع أنه كان متيقناً من براءة عائشة رضي الله عنها في قرارة نفسه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: فوالله ما

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٩١.

(٢) علي القاري: شرح الشفا، ج ١، ص ص ٢٤٩، ٢٥٠.

علمت عن أهلي إلا خيراً، لكنه انتظر حتى يقضي الله فيهم أمره، ثم استشار أصحابه لما استبطئ الوحي.

وقام على المنبر يستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فأظهر أسيد بن حضير سيد الأوس رغبته في قتله فأخذت سعد بن عبادة سيد الخزرج، – قبيلة ابن سلول – الحمية، فجري بينهما كلام، فخفضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سكتوا وسكت.

ومع أن عمر بن الخطاب وأسيد بن حضير رضي الله عنهما أشارا بقتل رأس النفاق إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض هذا المبدأ الذي كان من الممكن أن يحدث شرخاً بين الأوس والخزرج، وهذا من أبرز الشواهد على وسطيته واعتداله صلى الله عليه وسلم.

فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها في القرآن الكريم افتضح أمر هذا المنافق ولم يستطع بعدها أن يرفع رأسه بين الناس أصبح أبناء قبيلته هم الرقباء عليه بعدما كانوا متعصبين له.

قال ابن إسحاق: «وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله، لأرعدت له آنف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمتُ، لأمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري» [1].

(١) والحديث بطوله رواه البخاري في باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، عن عائشة. الصحيح، رقم الحديث: ٢٦٦١.

المبحث الخامس: آثر وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين على استقرار المجتمع وسلامته.

إن التمسك بدين الله وتحكيم شريعته من أهم الأسباب لاستقرار الأمن في المجتمع المسلم، وإذا ضعف الإيمان زاد الشطط واختل الأمن، وكثر الاعتداء، واستعرت نيران الشقاق والفرقة بين أبناء المجتمع، ومن ثم حرص النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الوسطية والاعتدال في معاملة المسلمين وغيرهم على حفظ الأمن المجتمعي واجتناب أسباب زعزعته واختلاله.

وأما عن آثار وسطيته صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين فهي متعددة عادت بالنفع عليهم هم أنفسهم وعلى المجتمع بطوائفه المختلفة وأدت إلى سلامته واستقراره فعاش المسلمون مع أهل ذمتهم في مجتمع واحد تحت راية واحدة في استقرار تام وتجانس بديع تقوده النبوة بعيداً عن التدابر والتقاطع كالبنيان المرصوص.

ويمكننا استنباط بعض هذه الآثار من خلال ما سبق عرضه من نماذج فمن أهم آثار وسطية النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته واعتداله في معاملة غير المسلمين قبولهم الحق والدخول في دين الله أفواجاً كما مر من نماذج الأسرى الذين أسلموا بعد وقوعهم في الأسر طواعية ورغبة ومحبة في وسطية هذا الدين الحنيف.

ولعل أبرز هذه الأمثلة هو ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة الذي وقع في الأسر وطلب العفو من النبي صلى الله عليه فاستجاب وعفا عنه عفواً تاماً فنتج عن ذلك إسلامه وقومه من بلاد اليمامة.

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس إليه بعدما كان أبغض الناس إليه، وأصبح من حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ضد قريش حيث قال

لهم: والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي – صلى الله عليه وسلم[١].

ولا ريب في أن دخول هؤلاء الإسلام ومساندتهم للمسلمين ضد عدوهم فيه ما فيه من مردود يحقق الأمن والسلم للمجتمع ويجنبه شرورهم ويجلب عليه نفعهم .

ويضاف إلى ما سبق من آثار وسطية الرسول مع غير المسلمين كف شرورهم عن المسلمين وعدم مساندة أعدائهم، ومنهم من تنقلب عداوتُه محبةً وبغضُه للرسول صلى الله عليه وسلم ثناءً مثلما مر عن غورث بن الحارث، الذي وثب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف يريد قتله فأمكن الله نبيه منه فخلى سبيله فأسلم وعاهده فلما جاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس[٢].

وكان الخير كله في الاعتدال والوسطية التي جعلته يقول لقومه عند عودته هذه العبارة "جئتكم من عند خير الناس" وبذلك اكتسب المجتمع المسلم الأولياء والمحبين في صفوف أعدائهم ممن أسرتهم أخلاق النبوة وجندتهم الرحمة والوسطية.

والأجمل من ذلك كله أن بعضهم يعود داعية إلى دين الله بعد أن جاء ليهدمه مثلما فعل لما ذهب عمير بن وهب الذي جاء من مكة يريد قتل النبي فكانت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم المعتدلة سبباً في إسلامه ورجوعه إلى مكة يدعو إلى الإسلام، فأسلم على يديه ناس كثيرون[٣]، وهذه نتيجة مقبولة

(١) البخاري: رقم الحديث: ٢٤٢٣؛ مسلم: رقم الحديث ١٧٦٤.
(٢) علي القاري: شرح الشفا، ج ١، ص ص ٢٤٦، ٢٤٧.
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٦٦٣.

لاعتداله صلى الله عليه وسلم، ولنا أن نتخيل لو بادره رسول الله بالقتل عقوبة على جرمه.

ومن نتائج وسطيته مع قبلة هوازن بعد غزوة حنين أنه استطاع أن يكسب القبيلة وحلفاءها إلى صف الإسلام، ويكونوا من جنوده الذين يرفعون رايته ويدافعون عنه.

ومن نتائج وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع غير المسلمين التأسيس لمنع التعصب بين أبناء المجتمع وقبول فئاته بعضهم بعضاً وبناء اللحمة على أساس المشترك الإنساني والأخلاقي وفتح باب الحوار الراقي الهادئ الذي تنتصر فيه الحجة والبرهان في جو من التعايش السلمي المبني على الاحترام المتبادل ويتحقق السلم المجتمعي ويتفرغ الناس للبناء والتعمير.

ومما نتج عن وسطية الرسول مع غير المسلمين وجود التكافل والتراحم بين أبناء المجتمع

ومن ثمرات اعتداله في معاهدة اليهود الوثيقة التي استوعبتهم داخل مجتمع المدينة المنورة وأقرت حقوقهم وواجباتهم ونظمت علاقتهم بالمسلمين وأنه ألف بها بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين مع جيرانهم من اليهود وربط بينهم فأصبحوا يداً واحدة تحت سقف دولة واحدة يستطيعون أن يواجهوا كل من يريدها بسوء ويردوا كيده في نحره وظلت المدينة على ذلك حتى غدروا وخانوا(١).

ونتج عن قبوله الفداء من أسرى المشركين في بدر منافع مجتمعية كبيرة منها المادي ومنها الأدبي فأما المنافع المادية فتعويض المهاجرين ما أخذته منهم قريش عند الهجرة، وأما الآثار الثقافية فتتمثل تعليم أولاد المسلمين القراءة حيث جعل الرسول فداء من لا يملك المال أن يعلِّم عشرة من أولاد الأنصار، إضافة

(١) جمال الدين محفوظ: تأمين قاعدة الإسلام بالمدينة بعد الهجرة، ص ١٥.

إلى أن الإبقاء عليهم ومنع قتلهم أبقت على صِلات الأرحام بين المسلمين وبين أهل مكة.

ومن آثار الاعتدال والوسطية في معاملة غلامي قريش في غزوة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ما يريد من أخبار عن العدو أفادت المسلمين في المعركة، وإلا فشدة الصحابة رضوان الله عليهم لم تؤت أكلها.

ومن آثار وسطية النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن أبي سلول في حادثة الإفك المحافظة على تماسك المجتمع حتى لا يحدث خلاف بين الأوس والخزرج بسببه، فلو قتله مباشرة قبل نزول الوحي ؛ لأرعدت له قبيلته، فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها افتضح أمر هذا المنافق ولم يستطع بعدها أن يرفع رأسه بين الناس وأصبح أبناء قبيلته هم الرقباء عليه بعدما كانوا متعصبين له ولو أمرهم الرسول بقتله لقتلوه.

وبهذه الوسطية أسس الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعاً متماسكاً متعاوناً قوي اللحمة بين أفراده ومكوناته يمتلك من الخصائص والسمات ما أهله لقيادة الأمم والسيادة عليها[1].

(١) قيادة البشرية والشهادة عليها، تكليف وتشريف، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٦٩، رمضان ١٤٠٤هـ، ص ٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله المنة أن أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث المتعلق بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين وأثر ذلك على المجتمع.

فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة والأسوة الحسنة الحاضرة معنا بجميل هداه، نجد منهجه نبراساً مضيئاً وسراجاً منيراً في كل موقف من مواقف حياتنا، وفي الاقتداء به الفلاح والنجاح للفرد والمجتمع، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

حرصت هذه الدراسة على إبراز القيم النبوية في التعامل بين أفراد المجتمع على اختلاف مشاربهم، من أجل وضع أسس وقواعد يستطيع أفراد المجتمعات الإسلامية المعاصرة التعامل على أساسها، وبالتالي يمكن التعايش السلمي الذي يتناسب مع ديننا ومبادئنا وقيمنا الصافية.

ومن ثم قام الباحث بجمع بعض أحداث السيرة النبوية المبثوثة في المصادر والمشتملة على تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين من مشركين ويهود ومنافقين ودراستها ومن ثم إخراج صورة شبه متكاملة عن منهج النبوة الوسطي يمكن التأسي به لتحصين المجتمعات من الغلو والتطرف والإفراط والتفريط.

اتسم المنهج النبوي في معاملة غير المسلمين بالتوازن التام الموافق للفطرة، الصالح للديمومة، القابل للتطبيق، المراعي لأحوال الناس وطبائعهم، فالشخصية النبوية في جانبها الإنساني تعد الأنموذج المتكامل للشخصية المثالية المنطلقة من الوحي.

أثبت المنهج النبوي أن الإسلام ينظر بعين الاعتبار لغير المسلمين داخل المجتمع ويحفظ حقوقهم على أساس من العدل والرحمة.

أوضحت الدراسة أن الاعتدال والوسيطة في التعامل بين أفراد المجتمع يضمنان استقراره ويدفعان عجلة التنمية والتقدم، وأن نقيضه من الغلو والتعصب العنصري يؤدي إلى خلل التوازن والتفكك والنزاع المجتمعي.

قائمة المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ): معرفة الصحابة، ج ٣، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط ١، الرياض، السعودية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (ت ٢٩٢ هـ): مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، ج ١٥، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم – ط ١، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٩م.

٥) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ): التاريخ الكبير، ج٣، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الرياض، السعودية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م.

٦) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ): صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة مصورة عن الطبعة: السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

٧) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨) البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه (ت ٣١٧هـ): معجم الصحابة، ج ٣، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، ط١، الكويت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٩) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٣، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٠) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ): السنن الكبرى، ج ٩، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ص ٣٤٤، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ): صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج ١، المكتب الإسلامي، ط ٣، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١١) الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ): المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، ج٣، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

١٢) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١٣) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ): تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ج٣، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٦٧م.

١٤) الحضرمي الشافعي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج١، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج ، ط١، جدة، السعودية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

١٥) بن حنبل، أحمد (الإمام) (١٦٤ – ٢٤١ هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠١م.

١٦) خليل، أحمد محمود: وأد الفتنة دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، عمان – المملكة الأردنية الهاشمية ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

١٧) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ): مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، (د – ت).

١٨) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء، ج ٢، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت– لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٩) الرحيلي، حمود بن أحمد: قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢٠.

٢٠) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (٥٨١ – ٦٥٤ هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ١٤، تحقيق: محمد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، دمشق – سوريا، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م.

٢١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ): الطبقات الكبير، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ج ٢، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٢٢) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج٦، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.

٢٣) شرف، عبد العزيز (دكتور): السيرة النبوية والنقل الحضاري بين الأجيال، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٢٥، المحرم ١٤٠٣هـ.

٢٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، القاهرة، مصر، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

٢٥) العباد البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد: من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٦) العمري، أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج٢، مكتبة العلوم والحكم، ط٦، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢٧) غلوش، أحمد أحمد: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٢٨) فودة، حلمي محمد، وآخرون: المرشد في كتابة البحوث، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، جدة، السعودية، ١٤١١هـ.

٢٩) القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت ١٠١٤هـ): شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق: عبد الله بن محمد الخليلي ج ٢، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٠) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ٢، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، (د - ت).

٣١) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج: سراج منير محمد منير، مراجعة: سليمان بن عبد الله العمير، عبد الرحمن بن صالح السديس، دار عطاءات العلم، ط ٣، الرياض، السعودية، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.

٣٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، ج ٨، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، القاهرة، مصر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٣٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، ج ٤، تحقيق: د . عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٣٤) محفوظ، جمال الدين (اللواء الركن): تأمين قاعدة الإسلام بالمدينة بعد الهجرة، مقال منشور في مجلة الأمة القطرية، عدد ٢٥، المحرم ١٤٠٣هـ .

٣٥) محمد، محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح (ت ١٣٨٨هـ): اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م.

٣٦) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ): إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج ١، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٣٧) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤١٠هـ .–١٩٩٠م.

٣٨) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ج ٧، دار صادر، الطبعة الثالثة عشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.

٣٩) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د –ت).

٤٠) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ): صحيح مسلم، ج ٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، نسخة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٤١) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، (ت ٢٠٧هـ): المغازي، ج٢، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٤٢) الهَرَري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الشافعي: شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٢، تحقيق: جنة من العلماء برئاسة: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية، ج١، تحقيق: حقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، القاهرة، مصر، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

٤٤) اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى ي (ت ٥٤٤هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت ٨٧٣هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.